مجلة جامعة الملك سعود، م١٥، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١)، ص ص ٤١٣-٤٤١ (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)

موقف المترفين من دعوة الرسل

حسين جابر بني خالد

أستاذ مشارك، قسم أصول الدين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،

جامعة اليرموك، إربد، الأردن

(قدم للنشر في ١٤٢١/٦/٢٦هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٢١/١٠/٢٠هـ)

ملخص البحث. يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم المترفين في اللغة واصطلاح العلماء، ومعرفة آثار هذه الفئة على أفراد المجتمع، وإلقاء الضوء على أساليب المترفين في وقوفهم ومعاندتهم لدعوة الأنبياء الذين بعثوا فيهم، ثم معرفة الأسباب التي جعلتهم يقفون هذا الموقف السلبي، ومعرفة النتيجة التي ينتهي إليها مصيرهم في الدنيا والآخرة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن البشرية تسعى جاهدة لتعيش حياة آمنة مطمئنة، وتأبى طائفة منهم إلاّ أن تعيش لنفسها فقط، فهي تغرق نفسها في الشهوات والملذات، فتحوّل حياة الذين يعيشون

معهم إلى ظلم وقتل وسلب ونهب، فتنشأ في مثل هذه المجتمعات الخصال القبيحة، وينتشر فيها الفساد، فتكون النهاية المؤلمة للجميع هي التدمير.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن هذه الطائفة هم معظم المترفين، وهم الذين يقفون من دعوة الرسل عليهم السلام موقف الرفض والعداوة، وأن هذا الموقف يتكرر من أمثالهم في المجتمعات في كل زمان ومكان، فهم من أكبر المعاندين للرسل، والمحرضين لعامة الناس للوقوف في وجه الرسل ودعوتهم، وإلحاق الأذى بهم وبأتباعهم من تعذيب وقتل وتشريد، على الرغم من أن الرسل وأتباعهم يحملون لهؤلاء كل خير وسعادة في الدنيا والآخرة.

لذلك جاءت هذه الدراسة لبحث موقف المترفين من دعوة الرسل مكونة من تمهيد وخمسة مباحث.

وأما التمهيد فقد بينتُ فيه مفهوم المترف لغةً، وذكرت الشواهد على هذا المفهوم من القرآن، وبيّنتُ أنّ معنى المترف يدور حول سعة العيش والبذخ فيه، مع وجود الرياسة والسلطة، وبيّنتُ كذلك تطابق المفهوم اللغوي مع اصطلاح العلماء للمترفين، وما يترتب على هذا المفهوم من غلظة القلب، وإفساد الفطرة، وإصرار على الباطل.

أما المبحث الأول، فقد بيّنتُ فيه أثر المترفين على مجتمعاتهم التي يعيشون فيها، من سيطرةٍ وظلمٍ وتدمير لهذه المجتمعات، للقضاء عليها في نهاية المطاف قضاءً تاماً، وذلك لما يتمتع به المترفون من سلطة على أقوامهم، وانقيادٍ لهم، لذلك سلّط الله تعالى العذاب الشديد عليهم، وهو عذاب عام شامل.

وأما المبحث الثاني، فقد بيّنتُ فيه موقفهم من دعوة الرسل، وهو متمثل بالرفض التام لكل ما جاءوا به، وعدم الاستجابة لدعوتهم مهما رافقها من أدلة صادقة على صحة دعوتهم، وأوردت بعض الآيات التي تحدثت عن موقفهم هذا، وأنهم - أي

المترفون- يقلدون بعضهم بعضاً في كل زمان، وذلك برفضهم لدعوة الرسل عليهم السلام.

وأما المبحث الثالث، فقد بيّنتُ فيه الدواعي التي جعلت المترفين يقفون هذا الموقف العدائي لدعوة الرسل، وهي إغراقهم في الملذات، مما جعل ذلك حائلاً بينهم وبين الاستجابة لنداء الخير، وامتثالهم لأمر الله تعالى في سلوكهم وتصرفاتهم، والذي سيؤدي إلى تحجيم ترفهم وبذخهم، وضياع سلطانهم وسيطرتهم على مجتمعاتهم، وفقدانهم لهذه المكانة الرفيعة التي يتمتعون فيها بين شعوبهم.

وأما المبحث الرابع، فقد بيّنتُ فيه الأساليب التي اتخذها المترفون في مقاومة دعوة الرسل، وهي اتهامهم بالكذب، والسحر، والسّفه، والجنون، وأنّ ما يأتون به من آيات بيّنات هو شعر، وتهديدهم للأنبياء بالقتل أو الضرب أو الطرد، في حالة إصرارهم على دعوتهم، وقولهم بأنّ القرآن الكريم أساطير وخرافات، وخداعهم لعامة الناس بما عندهم من نعيم بأنهم مقربون إلى الله تعالى، وطلبهم من الرسل ما يقصد به التعجيز والاستهتار.

وأما المبحث الخامس، فقد بيّنتُ فيه مآل المترفين في الحياة الدنيا، من قتل على أيدي المؤمنين، واستئصالهم لهم كما حصل لقوم هود، وقوم لوط وغيرهم من الأمم المستكبرة، أو خسف بهم وبممتلكاتهم كما حصل لقارون؛ وأما يوم القيامة فينتظرهم عذاب أليم في نار جهنم وبئس المصير.

نتائج البحث، وقد ذكرت فيه النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفّقت في عرض هذا الموضوع على حسب ما يسّره الله تعالى لي من معلومات، وأن ينفع به المسلمين. وأن يغفر لي ما أخطأت فيه وما قدّمت وأخّرت، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

قبل أن نبحث موقف المترفين من دعوة الرسل لا بد لنا أن نتعرف على مفهوم المترف في اللغة وكذلك مفهوم المترف عند علماء المسلمين.

مفهوم المترف: ورد في قاموس اللغة أن الترفة بالضم: النعمة وسعة العيش، وأترفته النعمة وسعة العيش أي أطغته، وقيل أترفته نعمه، ومنه قوله تعالى: ﴿ مَآ أُتۡرِفُواْ ﴾ [هود، آية ١١٦]، أي ما نعّموا. وترفته تتريفاً أي أطرته. وأترف فلان: أصر على البغي، وإنما سمي المتنعّم المتوسّع في ملاذّ الدنيا وشهواتها مترفاً لأنه مطلق له لا يمنع من تنعّمه، والمترف الجبّار وبه فسّر قوله تعالى: ﴿ أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا ﴾ [الإسراء، آية ١٦]، أي جباريها، وقيل أولي الترفة، أراد رؤساءها وقادة الشر منها. وتترف أي تنعّم واستغرق وطغى، نقله الزمخشري والصاغاني [١، جـ٦، ص ص٤٩، ٥٠]. وقيل التريف حسن الغذاء، وصبيّ مترف إذا كان منعّم البدن مدللاً [٢، جـ١٠ ص٣٦٠].

ومن الملاحظ أن المعنى اللغوي للمترف يدور حول سعة العيش والبذخ فيه، مع وجود الرياسة والسلطة، لتمكينه من إطلاق نفسه في الشهوات، وطلب المزيد من ملاذ الدنيا، والتفنّن في تحصيلها حتى تطغيه عن أمر الله والوقوف عند حدوده، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ (العلق، الآيتان ٦، ٧).

ولذلك جاء وصف المترفين عند العلماء مطابقاً لما ورد في مفهوم اللغة، "فالمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين، الذين يجدون المال والخدم والراحة، فينعمون بالدعة والراحة والسيادة، حتى تترفهم نفوسهم -أي تطغيهم- وترتع في الفسق والمجون، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتنتهك الأعراض، وتعتدي على الحرمات، وهم الذين ينهشون في الأمة، حتى تفقد الأمة عناصر قوتها، وأسباب بقائها فتهلك وتطوى صفحتها" [٣، جـ١٥، ص٢٢١٧].

"فإتراف النعمة للإنسان إذن إبطارها وإطغاؤها له، وذلك إشغال لنفسه حتى يغفل عمّا هو مطلوب منه، فيكون الإنسان بذلك مترفا، متعلّقاً بما عنده من نعم الدنيا وما يطلبه منها سواءً أكانت قليلة أم كثيرة.

فالترف يغلّظ القلوب، ويفقدها الحساسية، ويفسد الفطرة، فلا ترى دلائل الهداية، فتستكبر على الهدى، وتصر على الباطل، ولا تتفتح للنور" [٣، جـ٢٢، ص٢٩١٠].

ونظراً لما يولّده الترف في نفوس أصحابه من التكبّر على المجتمعات التي يعيشون فيها فلا بدّ لنا أن نلقي الضوء على مفهوم الكبر.

فالكبر لغة بالكسر: "العظمة، وكذلك الكبرياء، وكبر الشيء بسكون الباء: معظمه. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ ﴾ (النور، آية١١) [٤، جـ٢، ص٨٠١].

والكبر اصطلاحاً: هو توهم الشخص نفسه أنه أمر عظيم فوق ما هو، وهذا هو الاختيال والخيلاء والمخيلة، وهو أن يتخيّل عن نفسه ما لا حقيقة له.

والمتكبر يريد العلوّ في الأرض والفخر على الناس وإرادة الرئاسة والسلطان، حتى يبلغ به الأمر إلى مزاحمة الربوبية كفرعون، ومزاحمة النبوة.

وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾ (لقمان، آية ١٨)، وقال عليه الصلاة والسلام: "الكبر بطر الحق وغمط الناس" فبطر الحق جحده ودفعه [٥، جـ٢، ص٨٩؛ ٦، حـ٢، ص٣٤٦].

وأما مفهوم الرسل لغة فيقال: "أرسلتُ فلاناً في رسالة فهو مرسل ورسول، والجمع رُسْلٌ ورُسُلٌ. والرسول أيضاً الرسالة ومنه قول ابن كثير:

لقد كذب الواشون ما بحتُ عندهم بسرٍّ ولا أرسلتهم برسول

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء، آية ١٦) ولم يقل رسل رب العالمين لأنّ فعولاً وفعيلاً يستوي فيها المذكر والمؤنث والواحد والجمع، مثل عدو وصديق" [٤، جـ٤ ، ص١٧٩].

وأما مفهوم الرسول اصطلاحاً فهو "المكلف من قبل الله تعالى بتبليغ شريعته لخلقه، وهذه النبوّة اصطفاء من الله تعالى، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران، آية ٣٣) [٧، ص٢٦٧].

المبحث الأول : أثر المترفين على مجتمعاتهم

عرفنا فيما سبق أن المترفين يتمتعون بمنزلة مهمة في المجتمع، فهم الوجهاء والرؤساء، وهم أهل الرأي النافذ نظرا لمركزهم الاجتماعي، وما هم فيه من وضع مالي وسيطرة على من حولهم، فهم يملكون المال والسلطان، وهما من أكبر عوامل خضوع المجتمع لمن يملكهما.

وأثر المترفين في مجتمعاتهم ظاهر جدا، إذ إن الناس يتأثرون بالأحوال أكثر من تأثرهم بالأقوال، فحال الشخص هو الذي يفرض قبول رأيه في المجتمع، وليس ما يقوله، كما قال الشاعر في امرأة شيخه [٨، جـ١ ، ص٩٢].

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

والمترفون جبارون ومتسلطون على أقوامهم، والناس منقادون إليهم ومتأثرون بآرائهم إما طوعا للانخداع بما هم عليه من حال، وإما كرها وخوفا من بطشهم وتسلطهم، ولذلك فإن دورهم في المجتمعات خطير جدا، لانقياد عامة الناس إليهم، وخوفهم الشديد من مخالفتهم.

"لذلك نجد أن القرآن الكريم قدجعل الأخذ عليهم في العذاب كما ورد في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ ﴾ (المؤمنون، آية ٦٤)، لأنهم الذين أضلوا عامة قومهم، ولولا نفوذ كلمتهم على قومهم لاتبعت الدهماء الحق، لأن العامة أقرب إلى الإنصاف إذا فهموا الحق، بسبب سلامتهم من معظم دواعي المكابرة من توقع تقلّص سؤدد وزوال نعيم" [٩، جـ١٨ ، ص٨٢].

والمترفون يتسببون في تدمير مجتمعاتهم والقضاء عليها قضاء تاما، بسبب فسقهم وانتهاكهم لحرمات الله تعالى، فعند ذلك يأمر الله تعالى بتدمير ذلك المجتمع الذي يعيث فيه المترفون فساداً. قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء، آية ١٦). "فالله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يهلك أهل قرية بعد قيام الحجة عليهم، وإرسال الرسل إليهم، أمر مترفيها، أي رؤساءها وسادتها بالطاعة واتباع الرسل أمراً بعد أمر، فكرّر عليهم، وبيّنة بعد بيّنة تأتيهم بها، إعذاراً للعصاة وإنذاراً لهم، وتوكيداً للحجة عليهم، ففسقوا فيها بالمعاصي، وأبوا إلا تماديا في العصيان والكفران، فوجب حينئذ عليها الوعيد، فأهلكناها إهلاكا، وإنما خص المترفين وهم المنعمون والرؤساء بالذكر، لأن غيرهم تبع لهم، فيكون الأمر لهم أمرا لأتباعهم، وقد روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن معناه: أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا، ومثله أمرتك فعصيتني، ويشهد لصحة هذا التأويل الآية المتقدمة وهي قوله تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾" (الإسراء، آية ١٥) [١٠، جـ١٥ ، ص٣٠].

"فإهلاك القرية هنا إهلاك استئصال، لم يبق منها شيء أبدا، فهو تدمير وتخريب بالكامل، وذلك لتمردهم واجتراحهم السيئات، وارتكابهم كبائر الإثم والفواحش" [١١ ، جـ١٥ ، ص٢٥]. قال القاشاني: "إن لكل شيء في الدنيا زوالا، وزواله بحصول

استعداد يقتضي ذلك. وكما أن زوال البدن بزوال الاعتدال، وحصول انحراف يبعده عن بقائه وثباته، فكذلك هلاك المدينة وزوالها بحدوث انحراف فيها عن الجادة المستقيمة التي هي صراط الله، وهي الشريعة الحافظة للنظام.

فإذا جاء وقت إهلاك القرية، فلا بد من استحقاقها للهلاك، وذلك بالفسق والخروج عن طاعة الله، فلما تعلّقت إرادته تعالى بإهلاكها، تقدمه أولاً بالضرورة فسق من أصحاب الترف والتنعم، بطراً وأشراً بنعمة الله واستعمالاً لها فيما لا ينبغي، وذلك بأمر من الله وقدر منه، لشقاوة تلزم استعداداتهم، وحينئذ وجب إهلاكهم" [١٢، جـ١٠، ص٢١٥].

"وقيل: إن معنى قوله تعالى: ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ (الإسراء، آية ١٦)، أي أكثرنا مترفيها في المجتمع، أي جعلنا أكثر أفراد المجتمع من المترفين الفاسقين، فأصبحوا هم الصبغة المعروفة والمشاهدة في المجتمع الذي يعيشون فيه، فاستحقوا بذلك عذاب الله تعالى بتدميرهم وإهلاكهم جميعاً" [١٣، جـ٢، ص٢٤٢].

أقول: وهذا المعنى يؤكده جواب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها، عندما سألته قائلة: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "بلى إذا أكثر الخبث" [١٤، جـ١٣ ص١١]. والفتنة عندما تقع بقوم ليست مقتصرة على الظالمين الفاجرين منهم، بل إنها تتعدى ذلك لتشمل كل أفراد المجتمع الذين يعيشون معهم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال، آية ٢٥). وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ (الإسراء، آية ١٦) "أي جعلنا المترفين أمراء ومسؤولين عن المجتمع الذي هم فيه، فعاثوا في الأرض فساداً فاستحقوا هم ومن معهم الإهلاك والتدمير" [١٥، جـ٥، ص١٦٣].

المبحث الثاني: موقف المترفين من دعوة الرسل

لقد وقف المترفون في مختلف العصور من دعوة الرسل الذين أرسلوا إليهم موقفاً واحداً، لم يتغيّر ولم يتبدّل، وإن تغيّر الزمان وتبدّل المكان، وهو الرفض لما جاءت به الرسل، ومناصبتهم العداوة والبغضاء. ومعظم المكذبين من الأمم هم أهل النعم وسعة العيش، قال تعالى: ﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ (المزمل، آية ١١).

ومما ورد في القرآن الكريم عن المترفين قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [سبأ، آية ٣٤]. "فالله تعالى يقول مسلياً نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم، وآمراً له بالتأسي بمن قبله من الرسل، ومخبره بأنه ما بعث نبياً في قرية إلا كذبه مترفوها، واتبعه ضعفاؤها، كما حصل مع نوح وصالح عليهما السلام من قبله" [١٦، جـ٣، ص٥٤٨].

"وكلما بعث نذير إلى قومه ينذرهم بأس الله من أن ينزل بهم على معصيتهم لله تعالى، قال كبراؤهم ورؤساؤهم في الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين به، إنا بما أرسلتم به من النذارة، وبعثتم به من توحيد الله والبراءة من الآلهة والأنداد كافرون" [١٧، جـ٢٢، ص٦٦].

ويذكر الله تعالى كذلك حكاية عن المتكبرين من قوم صالح قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ . قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (الأعراف، الآيتان ٧٥، ٧٦). "قال هؤلاء المتكبرون للمؤمنين به من أهل المسكنة من أتباع صالح وهم دونهم في الشرف والسؤدد: إنّا أيها القوم بالذي آمنتم به وصدقتم به بنبوّة صالح، وأن الذي جاء به حق من عند الله كافرون، وجاحدون ومنكرون لا نصدقه به ولا نقر" [١٧، جـ٨، ص١٣٢]

. "وقيل إنّ رئيس قوم صالح جندع بن عمر ومن معه قد آمن ولكن صدّ غيرهم عن الاستجابة ذؤاب ابن عمرو والحباب صاحب أوثانهم استكباراً" [١٦، جـ٢، ص٢٢٨]. وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (الزخرف، آية ٢٣).

"ومثل هذا المقال المتناهي في الشناعة -وهو الاحتجاج بما كان عليه الآباء- قالت الأمم من قبلك لإخوانك يا محمد من الأنبياء، فلم نرسل قبلك في قرية رسولاً إلا قال رؤساؤها وكبراؤها: إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين وإنا على منهاجهم سائرون، نفعل مثل ما فعلوا، ونعبد ما كانوا يعبدون. فقومك أيها الرسول ليسوا ببدع في الأمم، فهم قد سلكوا نهج من قبلهم من أهل الشرك في إجاباتهم بما أجابوك به، واحتجاجهم بما احتجوا به لمقامهم على دينهم الباطل" [١١، جـ٢٥، ص٨٠].

فالتشبث إذاً بذيل التقليد من المترفين، ليس أمراً خاصاً في أمة من الأمم، بل هو دأب المترفين في كل زمان ومكان، فالترف الذي ورثوه عن الآباء والأجداد، هو الذي يدعوهم إلى التقليد وعدم الإمعان والنظر في الحق وأتباعه.

ولذلك فإننا نجدهم في المجتمعات المعاصرة يقفون في وجه الدعاة والوعاظ، يناصبوهم العداء، ويتصدون لدعوتهم، ويشوّشون عليها للحيلولة بينهم وبين أفراد المجتمع لمنعهم من الاستجابة لهم.

فهم يعرفون أنّ دخول هذه المجتمعات في دين الله، يكشف لهم عن حقائق هؤلاء المترفين، فتزول مكانتهم وما كانوا يتمتعون بسببها من تسلّط عليهم.

المبحث الثالث: دواعي وقوف المترفين من الرسل وأتباعهم هذا الموقف

إذا نظرنا إلى ما عليه المترفون من أحوال، فإننا نستطيع معرفة سبب هذا العداء الشديد الذي نجده بين المترفين ودعوة الرسل، ومن خلال ذلك يمكننا أن نذكر الأسباب التالية:

١ - إن ما يتمتع به المترفون من سعة العيش وإغراق لأنفسهم في الملذات، غطى على عقولهم وأحاسيسهم تجاه ما يطلب منهم، فأصبحت عقولهم وجوارحهم لا تستجيب إلا لتلك الأحوال التي هم عليها، فلذلك لا يستطيعون إمعان النظر في أهمية ما جاء به الرسل، وإدراك الخير في هذه الدعوات التي تعود عليهم بالنفع العظيم في الحياة الدنيا والآخرة.

٢ - معرفتهم بأن استجابتهم للرسل ستقيدهم في الإنفاق والتصرف في الأموال ضمن قواعد منضبطة حسب الأصول الشرعية التي يطالبهم بها الدين. وهذا أمر لا يقبلون به أبدا، خاصة وأنهم قد أدمنوا على هذه الأحوال التي هم عليها، فكيف يسلمون بسهولة في تركها، وتحمل فراقها بعد أمد بعيد من التعايش معها؟ وإذا فعل أحدهم فعلا من هذه الأفعال المخالفة للشرع عوقب على ذلك، فكيف يخضع المترف نفسه لهذا النظام الذي يحاسبه على كل صغيرة وكبيرة؟

٣ - ما هم عليه من رئاسة وجاه وسلطان، فهم الآمرون الناهون، وإليهم يرجع الأمر كله في شؤون الذين يعيشون معهم، يقتلون ويظلمون ويسلبون، ويفعلون كل شيء يريدون فعله، دون أن يستطيع أحد أن يقول لهم لم أو كيف. فإذا اتبعوا الرسل فإن الأمر سيكون عند ذلك لله ورسوله، والناس في مجتمعهم هم الذين يقررون إن كانوا يصلحون للقيادة وولاية الأمر، وذلك حسب معايير الشرع، الذي جاء به الرسل أم لا، فهم يعلمون تمام العلم بأن القيادة وإطلاق اليد في أمور المجتمع الذي هم عليه سيتحول عنهم، ويصبحون مثلهم مثل غيرهم محاسبين أمام شرع الله الذي لا فرق في تطبيقه بين غني وفقير، وآمر ومأمور، وقوي وضعيف.

٤ - إحساس المترفين بأن لهم مكانة مرموقة في المجتمع لا يصل إليها إلا من كان مثلهم، فكيف يقبلون لأنفسهم التعايش مع من أدنى منهم منزلة في الجاه والسلطان،

والمال والممتلكات خاصة وأن معظم أتباع الرسل في بداية الدعوة هم من هؤلاء الضعفاء والمساكين والفقراء؟

لذلك جعلوا وجود أمثال هؤلاء في صفوف أتباع الرسل حجة على عدم قبولهم لدعوتهم، واستجابتهم لهم، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (هود، آية ٢٧). ولذلك طلبوا من الرسل طرد هؤلاء الضعفاء والمساكين إذا ما أرادوا منهم الإيمان بدعوتهم، مع أنهم ليسوا صادقين في دعواهم، وإنما الهدف ضرب مصداقية الرسل في احترام الناس جميعا، وإظهار التناقض في دعوتهم، قال تعالى حكاية عن نوح مع قومه: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (هود، آية ٢٩).

وهذه الدواعي التي تجعل هؤلاء المترفين يرفضون الاستجابة لدعوة الرسل، نجدها كذلك في المجتمع المعاصر، فما لدى معظم هؤلاء المترفين المعاصرين من أموال وممتلكات، وما يتمتعون به من تصرف مطلق في أمور حياتهم وغيرهم ممن يتعايشون معهم، وما هم عليه من رئاسة وشعور بأنهم أفضل من غيرهم، يجعلهم يرفضون هذه الدعوة، لأنها تجعلهم مسؤولين عن كل ما يصدر منهم أمام الشرع، فكيف يقبلون بزوال هذه الأمور التي أشربت في نفوسهم؟

المبحث الرابع: الأساليب التي اتخذها المترفون في مقاومة دعوة الرسل

اتخذ المترفون أساليب متعددة من أجل الحيلولة بين قومهم وأتباعهم للحق والاستجابة للرسل في دعوتهم، ونظرا لما يتمتع به المترفون من مكانة في المجتمع، فهم الوجهاء والأغنياء وأصحاب السلطة في أقوامهم، فإن الناس يتأثرون بأقوالهم ويصدقون

بها، كما أخبر الله تعالى عن تأثر المجتمع بأقوال المنافقين في قوله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (التوبة، آية ٤٧).

والضعفاء وعامة الناس في أي مجتمع مولعون بتقليد الأقوياء وأصحاب السلطة، وتنفيذ ما يطلبونه منهم تحقيقا لمصالحهم من جهة، والسلامة من أذاهم وضررهم من جهة أخرى، فمن هذه الأساليب:

١- اتهام الرسل بالكذب فيما يقولون أو يخبرون عنه من أخبار، حتى لا تقع هذه الأخبار موقع التأثير في نفوس الناس، وهذا الأسلوب وهو اتهام الرسل بالكذب أمر متوارث بين المترفين في كل زمان ومكان، كأنهم قد تواصوا به فيما بينهم، ليكون موقفهم واحداً في كل عصر، قال تعالى: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ (ص، الآيتان ٦، ٧).

"وانطلق الأشراف من هؤلاء الكفار من قريش قائلين: امضوا فاصبروا على دينكم وعبادة آلهتكم، وأن هذا الذي يدعوكم إليه محمد، يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعا، ولسنا مجيبيه إلى ذلك. ولم نسمع بهذا الذي يدعونا إليه من البراءة من جميع الآلهة إلا من الله تعالى ذكره، والمقصود بالملة الأخرة النصارى، أو ما سمعنا بهذا في دين قريش، وقيل إن الملأ الذين انطلقوا نفر من مشيخة قريش منهم أبو جهل، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث [١٧، جـ٢٣، ص ص١٢٦-١٢٧]، فهم، أي قريش، يتهمون النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ابتدع هذا القرآن من عند نفسه، وينسبه إلى الله افتراء."

وقد قال قوم صالح كذلك عن نبيهم بمثل ما قال قوم محمد عليه السلام، كما يذكر القرآن الكريم حكاية عنهم، قال تعالى: ﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ

سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ (القمر، الآيتان ٢٥، ٢٦). "فهم قد رموا صالحاً عليه السلام بالكذب، وقالوا عنه بأنه متجاوز في حد الكذب، والله تعالى يهددهم ويتوعدهم بأنهم سيرون فيما بعد من هو الكذاب المتجاوز في كذبه " [١٦، جـ٤، ص٢٨٤].

٢- اتهام الرسل بالسحر فيما أتوا به من آيات بينات على صدق دعوتهم ورسالتهم، وهذا أسلوب آخر من أساليب المترفين لصرف اهتمام الناس بدعوة الرسل، والاعتقاد بأنهم سحرة، مثلهم مثل غيرهم الذين يريدون السيطرة على عقول من يسحرونهم. قال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (ص، آية ٤)، "وهؤلاء هم سادة قريش وأساطينها، الذين تعجبوا من أن يكون الرسول منهم يعرفون نسبه وأخلاقه، وقاموا باتهامه بالسحر والكذب، من أجل صرف الناس عن قبول دعوته والتأثر بما يدعو اليه تماما مثل قول السابقين في حق رسلهم" [١٨، جـ٤، ص٤٢٠].

ويبين الله تعالى لنبيّه عليه السلام أن هذا الاتهام قد فعلته الأمم السابقة لقريش في رسلهم، الذين أحل الله بهم نقمته كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقومه، ما أتى هؤلاء من نبيّ من الأنبياء إلا قالوا كما قالت قريش ساحر أو مجنون، ويقول تعالى ذكره: أأوصى أوائلهم وآباؤهم الماضون من قبلهم قريشاً بتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام، فقبلوا ذلك منهم، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (الذاريات، الآيتان ٥٢، ٥٣) [١٧، جـ٢٧، ص٧]. وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ (المدثر، الآيتان ١، ٢)، "نزلت هذه الآيات عندما صنع الوليد بن المغيرة طعاماً لسادة قريش، فلما أكلوا منه قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ -يعني محمداً عليه الصلاة والسلام- فقال بعضهم ساحر، وقال بعضهم ليس بساحر، وقال بعضهم كاهن، وقال بعضهم ليس بكاهن، وقال بعضهم شاعر، وقال بعضهم ليس بشاعر، وقال بعضهم بل سحر يؤثر، فأجمع

أمرهم على أنه سحر يؤثر، فلما بلغ النبي عليه السلام حزن وقنع رأسه، وتدثر فأنزل الله تعالى هذه الآيات" [٦، جـ٤ ص٤٧٠].

"وكذلك يخبر القرآن الكريم عن قوم عيسى الذين اتهموه أيضا بالسحر، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الصف، آية ٦). وها هو فرعون وهامان وقارون يقولون بمقالة من سبقهم كذلك في حق موسى عليه السلام، عندما جاءهم بالبينات الدالة على صدق نبوته أنه ساحر كذاب، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر، الآيتان ٢٣، ٢٤). فالله سبحانه وتعالى يخبر نبينا عليه الصلاة والسلام مسليا له في تكذيب قومه، ومبشرا له بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة، كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام، فإن الله أرسله بالآيات البينات، والدلائل الواضحات والسلطان وهو الحجة والبرهان، إلى فرعون وملئه فكذبوه وجعلوه ساحرا مجنونا مموها كذابا في أن الله أرسله" [١١، جـ٤، ص٨٣].

٣ - اتهامهم للرسل بالسفه: وهو قلة العقل وعدم حسن التصرف في الأمور، وهذا بدوره يصرف الناس عن دعوة الرسل، لمعرفتهم من حال السفيه أنه لا يتابع فيما يقول ولا يعول على قوله، قال تعالى حكاية عن قوم هود: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ (الأعراف، الآيات ٦٦-٦٨).

"يخبر الله تعالى أن السادة والرؤساء من قوم هود الذين كفروا وجحدوا توحيد الله، وأنكروا رسالة هود إليهم قالوا عنه: إنا نراك يا هود في ضلالة عن الحق والصواب بترك

ديننا وعبادة آلهتنا، وإنا لنظنك كاذباً في قيلك إني رسول من رب العالمين، فقال لهم هود يا قوم ليس بي ضلالة عن الحق والصواب، ولكني رسول من الله فأنا أبلغكم رسالات ربي وأؤديها إليكم كما أمرني ربي. وأنا لكم في أمري إياكم بعبادة الله دون سواه من الأنداد والآلهة، ودعاؤكم إلى تصديقي فيما جئتكم به من عند الله ناصح فاقبلوا نصيحتي، فأنا أمين على وحي الله، وعلى ما أمّنني الله عليه من الرسالة، لا أكذب فيه ولا أزيد، ولا أبدل بل أبلغ ما أمرت به كما أمرت" [١٧، جـ٨، ص ص٢١٥، ٢١٦]. ثم يتبعون تشكيكهم بشخصية هود بأنه ممسوس من بعض آلهتهم، وجعلوا من فعل بعض الآلهة تهديداً للناس بأنه لو تصدى له جميع الآلهة لدكوه دكا، والاعتراء النزول والإصابة، فهو إذن ليس بعاقل تماماً، يعي ويدرك ما يقول. قال تعالى حكاية عن قيلهم: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ (هود، آية ٥٤).

٤ - اتهام الرسل بالجنون: ولما أرسل الله تعالى نبيّه موسى عليه السلام إلى فرعون اتهمه بالإضافة إلى السحر بأنه مجنون، قال تعالى حكاية عنه: ﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (الذاريات، آية ٣٨). "أي أن الله تعالى أرسل موسى بدليل باهر، وحجة قاطعة، فأعرض عما جاء به من الحق المبين استكباراً وعناداً، وغلب على قومه وقال: لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحراً أو مجنونا" [١٦، جـ٤، ص٢٥٣].

كذلك وقف قوم نوح نفس الموقف الذي وقفه فرعون مع موسى، فاتّهم قوم نوح نبيّهم بالجنون من أجل إبعاد الناس عنه، وعدم اطمئنانهم إليه، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾ (القمر، آية ٩)، "فالله تعالى يسلّي نبيّه في هذه الآية مبيّناً له أن هناك من كذب الرسل قبل قومه، وهم قوم نوح الذين صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون، وانتهروه وزجروه وتوعّدوه إذا لم ينته عن

دعوته، فسوف يرجمونه، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾" (الشعراء، آية ١١٦) [١٦، جـ٤، ص٢٨٢].

"ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش أعرضوا عن دعوته، ولم يوافقوه وقالوا للناس عنه إنه مجنون، وما يقوله هو تعليم من شخص يملي عليه هذه الأشياء، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ (الدخان، آية ١٤). ويرد الله تعالى على قريش دعواهم هذه بأن محمداً عليه الصلاة والسلام مجنون بقوله: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ (القلم، آية ٢). أي لست ولله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك والمكذبون بما جئتهم به من الهدى والحق المبين فنسبوك فيه إلى الجنون" [١٦، جـ٤، ص٤٢٩].

وهكذا دأب جميع الأمم الذين سبقوا قريشا، فإنهم قالوا للأنبياء الذين بعثوا فيهم بأنهم سحرة ومجانين، فيقول الله تعالى عنهم: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (الذاريات، آية ٥٢). "والذي جعل هؤلاء متشابهين في مواقفهم تجاه الرسل - رغم تباعد الزمان والمكان بينهم- أنهم قوم طغاة، فكانت قلوبهم متشابهة، لذلك قال متأخروهم بما قال به متقدموهم" [١٦، جـ٤، ص٢٥٥].

٥ - اتهام الرسول بأنه شاعر: وأن ما جاء به هو من تلقاء نفسه كما يقول الشعراء، وما يؤلفونه وينظمونه من الشعر للسيطرة على مشاعر الناس، والاستحواذ على عقولهم، قال تعالى حكاية عن قريش في موقفهم من القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ (الأنبياء، آية ٥). "لم يصدق كفار قريش بحكمة هذا القرآن، ولا أنه من عند الله، ولا أقروا بأنه وحي أوحى الله به إلى محمد عليه الصلاة والسلام، بل قال بعضهم هو أهاويل رؤيا رآها في المنام، وقال بعضهم: هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من تلقاء نفسه، وقال بعضهم بل هو شاعر، وهذا الذي جاءكم به شعر، فليجئنا إن كان

صادقا في قوله، إن الله بعثه رسولا علينا، وإن هذا الذي يتلوه علينا وحي من الله أوحاه إليه بحجة ودلالة على ما يقول ويدعي، كما جاءت به الرسل الأولون من قبله، من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وكناقة صالح، وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله، ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل" [١٧، جـ١٧، ص٣].

ويرد الله تعالى على كفار قريش هذه الفرية على نبيه عليه السلام من أنه لا يستطيع قول الشعر ولا يتأتى من مثله، وهم يعرفون ذلك، قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ (يس، آية ٦٩). فهو - أي القرآن الكريم- وحي من الله تعالى واضح الدلالة لهم، نظرا لمعرفتهم باللغة وما فيها من شعر ونثر ورجز.

ويرد الله تعالى على كفار قريش كذلك في آية أخرى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الحاقة، الآيتان ٤١، ٤٢). والكاهن هو الذي يخمن وقوع الأشياء على ضرب معين، أو يتوقع حصولها في وقت معين، ليوهم الناس أنه يعرف ما يجري من الأحداث في شؤون حياتهم.

٦ - تهديد الرسل. وذلك بالقتل أو الضرب أو الطرد من البلاد إذا ما أصروا على الاستمرار في دعوتهم، وملاحقة أتباعهم بالعذاب والقتل والتضييق، حتى يتراجعوا عن متابعتهم والإيمان بدعوتهم. قال تعالى حكاية عن قوم شعيب: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (هود، آية٩١). وهددوه كذلك بالطرد من بلادهم إذا لم يعد هو وأتباعه إلى دينهم الذي هم عليه، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ (الأعراف، آية ٨٨).

ويحكي لنا القرآن الكريم عن موقف والد إبراهيم عليه السلام من دعوة ابنه لعبادة الله وحده لا شريك له، أنه هدده بالرجم إن أصرّ على ذلك، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ (مريم، آية ٤٦). أي فارقني زمناً طويلاً، ولا أريد أن تبقى معي على هذه الحالة.

وكذلك موقف قوم نوح عليه السلام، حينما هددوه بالرجم إن استمر في دعوته، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ (الشعراء، آية ١١٦).

وكذلك فعلت قريش مثل فعل الأمم السابقة بالنبي صلى الله عليه وسلم، من تهديد وتعذيب له ولأصحابه، فها هو عدو الله أبو جهل يتوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن رآه يصلي عند الكعبة المشرفة ليطأن على رقبته، فلما بلغ النبي عليه السلام ذلك هدّده بعذاب الله تعالى فأجاب عدو الله مستهتراً: أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديـاً، فأنزل الله تعالى في حقه: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ (العلق، الآيتان ١٧، ١٨) [١٦، جـ٤، ص ص٥٥، ٥٦].

"ووصل عداؤهم لدعوته عليه الصلاة والسلام قمّته حينما أجمعوا وقرروا أن تقوم بقتله جماعة من الشباب من كل عشيرة، ليتفرق دمه بين القبائل، فتعجز بنو هاشم عن الأخذ بثأره، ولكن الله سلّم رسوله، فتمكن من الإفلات منهم، والهجرة إلى المدينة المنورة سالماً، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال، آية ٣٠). والإثبات هو الشد بالوثاق، والإرهاق بالقيد والحبس المانع من لقاء الناس. والقتل قد ذكر سابقا، وأما الإخراج فهو النفي من الوطن" [١٩، جـ٩، ص٦٥٠].

٧ - القول عن القرآن الكريم بأنه أساطير: وهذا أسلوب اتخذه سادة قريش وكبراؤها، من أجل صرف الناس عن التأثر بالقرآن الكريم، والإقبال على ما ورد فيه

من دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، "وهو الادعاء بأن هذا القرآن أكاذيب وأباطيل، وخرافات أخذها محمد عليه السلام من الكتب، وأنه يكتب له حسب طلبه أول النهار وآخره، والذي يكتبها، أي هذه الأساطير كاتب، لأنه كان أمياً لا يكتب، وهي تلقى عليه بعد اكتتابها ليحفظها من أفواه من يمليها عليه، لكونه أميا لا يقدر على قراءتها من ذلك المكتوب بنفسه، وهذا التعليم مستمر في جميع الأوقات، قال تعالى حكاية عن قيلهم هذا: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾" (الفرقان، آية٥) [١٨، جـ٤، ص٦١]. وقال تعالى حكاية عنهم أيضاً: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ (الأنفال، آية ٣١). "وهذا غاية المكابرة ونهاية العناد. كيف لا؟ ولو استطاعوا شيئاً من ذلك فمن الذي كان يمنعهم من المشيئة؟ وقد تُحِدُّوا غير مرة أن يأتوا بسورة من مثله، وقُرِّعُوا على العجز، وذاقوا من ذلك الأمرّين، ثم قرّعوا بالسيف، فلم يعارضوا سواه، مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يقبلوا، خصوصاً في باب البيان الذي هم فرسانه، المالكون لأزمته، وغاية ابتهاجهم به وقوله تعالى: ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ أي ما سطروه وكتبوه في القصص، وهو جمع أسطورة كأحدوثة وأحاديث، وقد روي أن قائل هذا النضر بن الحارث بن كلدة (من بني عبد الدار)، وأنه كان ذهب إلى بلاد فارس، وجاء منها بنسخة حديث رستم واسفنديار (كتاب قصص)، ولما قدم وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد بعثه الله وهو يتلو على الناس ما قصه الله من أحاديث القرون. قال: لو شئت لقلت مثل هذا، فزعم أنه مثل ما تلقّفه، وكان إذا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلس، جلس فيه فحدّثهم من متلقفاته، ثم يقول: بالله أينا أحسن قصصا أنا أم محمد؟ وقد أمكن الله منه في بدر فأسر وأمر النبي عليه الصلاة والسلام بقتله، والإسناد في الآية للجميع من أن القرآن أساطير، إما لرضا الباقين

به، أو لأن قائله كبير متبع. وقد كان اللعين قاص قريش الذي يعلمهم الباطل، ويقودهم إليه ويخدعهم بهذه الجعجعة" [١٢، جـ٨، ص٤٤].

٨- خداع المترفين لعامة الناس بما هم عليه من نعيم وجاه وسلطان وكثرة مال، بأن الله تعالى راض عنهم ويحبهم، ولولا ذلك لما أعطاهم هذه الأشياء التي ليست موجودة عند الرسل وأتباعهم، وإذا كان الله تعالى راضيا عنهم في الدنيا ويحبهم، فمعنى ذلك أنهم على صواب في عبادتهم، وأنهم لم يعذبوا يوم القيامة، فحالهم في الدنيا يدل على المآل المماثل يوم القيامة، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (سبأ، آية ٣٥) [١٨، جـ٤، ص٣٣٠]. ولذلك يرد القرآن الكريم على دعواهم هذه بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ، آية ٣٦).

"فالقرآن الكريم يضع للمترفين ميزان القيم كما هو عند الله، ويبين لهم أن بسط الرزق وقبضه ليس له علاقة بالقيم الثابتة الأصلية، ولا يدل على رضى وغضب من الله، ولا يمنع بذاته عذابا ولا يدفع إلى عذاب، فقد يغدق الله الرزق على من هو غاضب عليه، كما يغدقه على من هو عليه راض. وقد يضيق الله على أهل الشر كما يضيق على أهل الخير، ولكن العلل والغايات لا تكون واحدة في هذه الحالات. فقد يغدق الله تعالى الرزق على أهل الشر استدراجا ليزدادوا بطرا وإفسادا فيتضاعف رصيدهم من الإثم، وقد يحرمهم فيزدادوا شرا وفسوقا وجريمة، وجزعا وضيقا ويأسا من رحمة الله، وينتهوا بهذا إلى مضاعفة رصيدهم في الشر والضلال. وقد يغدق على أهل الخير ليمكنهم من الأعمال الصالحة لتزداد حسناتهم، وقد يحرمهم ليبتلي صبرهم وإيمانهم ليزدادوا ثوابا عند الله بصبرهم" [٣، جـ٢٢، ص٢٩١٠].

٩ - طلب الأمور غير المعهودة من الرسل بقصد التعجيز والاستهتار، وإضاعة الوقت وتفويت الفرصة على الرسل لمتابعة دعوتهم واستماع الناس لهم، مثل طلب

قريش من النبي صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر، فلما حصل ذلك قالوا: سحرنا محمد، ولم يؤمنوا. قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ (القمر، الآيتان ١، ٢). ولو كان مقصودهم من طلبهم هذا الإيمان، لكان حصوله كافيا في إيمانهم وتصديقهم برسالته عليه الصلاة والسلام، وكذلك طلبهم منه عليه الصلاة والسلام أن تكون له جنة فيها من الثمار والعيون، وأن يروا الله والملائكة أمامهم، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ (الإسراء، الآيات ٩٠-٩٢).

ولعل المتمعن في أحوال معظم المترفين في عصرنا الحاضر، يجد أنهم يستخدمون نفس الأساليب التي استخدمها الأقدمون من أسلافهم في إعاقة الدعوة، والوقوف في وجوه الخير التي يهدف إلى تحقيقها الرسل ومن جاء بعدهم، فهم يتهمون هؤلاء الدعاة تارة بالكذب، وأخرى بالسفه والجنون، وإذا لم تفلح هذه الأساليب فإنهم يلجأون إلى التهديد وإلحاق الأذى بالدعاة وأهلهم، إذا لم يتراجعوا عن دعوتهم، ويخدعون العامة بما لديهم من أموال وجاه وسلطان، من أن الله تعالى يحبهم ويرضى عنهم، فهو يميزهم بهذه الأمور عن غيرهم.

المبحث الخامس: مآل المترفين في الدنيا والآخرة

إن الله تعالى يملي للمترفين، ويستدرجهم من حيث لا يشعرون حتى يتمادوا في غيهم وفسادهم، ثم يأخذهم سبحانه أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى

ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴾ (مريم، آية ٧٥).

"هذا أمر الله تعالى بإعلامهم أن الله سبحانه يديمهم في طغيانهم ويمهلهم في كفرهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ ﴾ أي من الأسر والقتل في الدنيا، أو الدخول في النار يوم القيامة، فسيعلمون عند ذلك من الذي يكون منزله أسوأ، أو يكون أقل نصرة هم أم المؤمنون، لأنهم في النار والمؤمنون في الجنة، وهذا رد عليهم لما قيل عنهم في الآية السابقة ﴿ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴾ [٢٠، جـ٣ ص٢٠٧].

ويقول تعالى كذلك: ﴿ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾ (المؤمنون، الآيات ٥٤-٥٦).

"الضمير هنا يعود لقريش، والغمرة الجهل والضلال، وأصلها من غمرة الماء، وهذا الموعد إما أن يكون يوم بدر أو يوم موتهم، والآية رد عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خير لهم، وأنها سبب لرضا الله عنهم، ولكنهم لا يشعرون أن ذلك استدراجا لهم، ففيه معنى التهديد" [٢١، جـ٢، ص٥٢].

وفي هذا المعنى أيضا يقول عليه الصلاة والسلام: "إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" [٢٢، جـ٢، ص١٢٩].

والعذاب الذي يوقعه تعالى بالمترفين عذاب استئصال لا بقاء لهم بعده أبدا، قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ (الإسراء، آية ١٦). وقد مر معنا آنفا تفسير هذه الآية من أنها تفيد بأن الإهلاك تدمير بالكامل لا بقاء بعده أبدا.

وقد يكون هذا العذاب الذي أعده الله تعالى للمترفين خسفا بهم وبممتلكاتهم التي كانوا يتكبرون على الناس بها، ويظنون أنها لن تحول عنهم ولا تزول، كما حصل لقارون بعد أن وصل في تكبره وطغيانه إلى أقصى مدى وبعدها قصم الله ظهره، قال

تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ (القصص ، آية٨١).

وقد يكون العذاب بإرسال الريح الشديدة أو الصيحة ، أو الخسف أو الإغراق ، كما جرى لفرعون وقومه ، ومن جاء بعدهم أو قبلهم من المترفين المتكبرين ، وجعل ذلك آية لكل من له عقل يفكر به ويعتبر بما جرى لهم نتيجة استكبارهم وطغيانهم ، قال تعالى : ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ۝ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت ، الآيتان ٣٩ ، ٤٠).

"ويصور القرآن الكريم حال المترفين عند نزول العذاب بهم فجأة بعد تماديهم بالباطل ومحاولتهم للهروب من العذاب لدى معاينته ، فيقول تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ (الأنبياء ، الآيات١١-١٣). أي ما أترفتم فيه من العيش والرفاهية والحال الناعمة التي كنتم عليها ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ فهو تهكم بهم ، وفيه وجوه :

أحدها : ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون إذا عما جرى لكم ونزل بأموالكم ومساكنكم ، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة.

وثانيها : ارجعوا كما كنتم في مجالسكم حتى تسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ، ويقول لكم بم تأمرون وبم ترسمون كعادة المخدومين.

وثالثها : يسألكم الناس في أنديتكم لتعاونوهم في نوازل الخطوب ، ويستشيرونكم في المهمات ويستغيثون بآرائكم.

ورابعها: يسألكم الوافدون عليكم والطامعون فيكم إما لأنهم أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء، أو كانوا بخلاء، فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ" [٢٣، جـ٢٢، ص١٤٦].

وأما مصير المترفين يوم القيامة فهو دخول النار ويئس المصير، ومواجهة العذاب الشديد في ذلك اليوم، قال تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ (غافر، الآيتان ٤٥، ٤٦). "أي أحاط بقوم فرعون ونزل بهم سوء العذاب، وهو عرض أرواحهم من حين موتهم حتى قيام الساعة على النار صباحا ومساء، وهو إحراقهم بالنار في البرزخ، ويوم القيامة ينتظرهم العذاب الشديد في جهنم" [٢٤، جـ١٢، ص ص١٩٦، ١٩٧].

وقد توعد الله الوليد بن المغيرة لمعاندته واستكباره عن دعوة الحق التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ۝ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ (المدثر، الآيتان ١٦، ١٧) "إن عدو الله كان معاندا لآيات المنعم وهي دلائل توحيده، أو الآيات القرآنية حيث قال فيها ما قال، والمعاندة تناسب الإزالة، قال مقاتل: ما زال الوليد بن المغيرة بعد نزول هذه الآية في نقص أمواله وأولاده حتى هلك (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد يوم القيامة" [٢٠، جـ١٥، ص ١٥٣].

وقد أعد الله كذلك عذابا شديدا لعدو الله أبي لهب الذي كان عدوا لدودا للنبي صلى الله عليه وسلم ودعوته، فيقول الله تعالى عن ذلك: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ "أي خسرت يداه، والتباب الخسران، لأنه كان من أشد الناس عداوة للنبي عليه السلام ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ إنه أمر محتوم عليه، وهو دخول النار، ولذلك مات كافرا، وكانت امرأته تحمل الشوك فتلقيه في طريق النبي، وتقوم على إيذاء المسلمين، وإلحاق الضرر بهم، فهي ستكون معذبة يوم القيامة، وسيوضع حبل من ليف في عنقها تعذب فيه" [٢٦، ص٨٦٢].

نتائج البحث

يمكن حصر النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث بالنقاط التالية:

١ - الترف في العيش مدعاة للمعصية وإماتة للقلب وتعطيله عن التوجه للخير وقبوله.

٢ - تأثير معظم المترفين على أقوامهم عائد لمركزهم الاجتماعي وما يمتلكونه من ثروات وسيطرة عليهم.

٣ - اتفاق معظم المترفين في كل عصر من العصور على موقف واحد تجاه دعوة الرسل، وهو الرفض الدائم والعداء الشديد لهم ولأتباعهم.

٤ - عدم الانخداع بالأخبار التي تروج عن الدعاة، لأنها من أسلحة المترفين لتشويه دعوتهم، وإبعاد الناس عن الاستجابة لنداء الخير كما فعل أسلافهم بدعوة الرسل عليهم السلام.

٥ - الترف في العيش والنعيم الواسع وحب السيطرة، هو الذي يمنع معظم المترفين من اتباع الرسل لأنهم سيحكمون في كل شيء في حياتهم بشرع الله، وهذا سيجعلهم يفقدون السيطرة على مجتمعاتهم وإطلاق اليد في كل شيء يريدون فعله.

٦ - خطر معظم المترفين على المجتمعات التي يعيشون فيها لأنهم سيكونون سببا في تدميرها وسخط الله تعالى عليهم.

٧ - المصير الذي ينتظر الذين وقفوا في وجه الدعوة من المترفين يوم القيامة وهو العذاب الشديد في نار جهنم.

المراجع

[١] الزبيدي، محمد مرتضى. *تاج العروس من جواهر القاموس*. ط١. القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ.

[٢] ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري. *لسان العرب*. القاهرة: الدار المصرية، طبعة مصورة عن طبعة بولاق مصر.

[٣] قطب، سيد. *في ظلال القرآن*. ط١٠. بيروت: دار الشروق، ١٩٨٢م.

[٤] الجوهري، إسماعيل بن حماد. *الصحاح*. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. ط٢. بيروت: د.ن.، ١٤٠٢هـ.

[٥] النووي، يحيى بن أشرف. *صحيح مسلم بشرح النووي*. ط٢. القاهرة: المطبعة المصرية، ١٣٩٢هـ.

[٦] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. *دقائق التفسير*. تحقيق محمد السيد. ط٢. دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٤هـ.

[٧] الميداني، عبد الرحمن. *العقيدة الإسلامية وأسسها*. ط٦. دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ.

[٨] عبد الحميد، محمد محيي الدين. *شرح ابن عقيل*. ط١٠. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٧٨هـ.

[٩] ابن عاشور، محمد الطاهر. *تفسير التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر.

[١٠] الطبرسي، الفضل بن الحسن. *مجمع البيان في تفسير القرآن*. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٠م.

[١١] المراغي، أحمد مصطفى. *تفسير المراغي*. ط٣. بيروت: دار الفكر، ١٩٧٤م.

[١٢] القاسمي، محمد جمال الدين، *محاسن التأويل*. تعليق محمد عبد الباقي. ط٢. بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨م.

[١٣] الزمخشري، محمد بن عمر. *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. بيروت: الدار العالمية، د. ت.

[١٤] العسقلاني، أحمد بن حجر. *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*. بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٠هـ.

[١٥] أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*. ط٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٠م.

[١٦] ابن كثير، إسماعيل. *تفسير القرآن العظيم*. ط١. بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٦م.

[١٧] الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧م.

[١٨] الشوكاني، محمد بن علي. *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣م.

[١٩] رضا، محمد رشيد. *تفسير القرآن الحكيم. الشهير بتفسير المنار*، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٣م.

[٢٠] البغوي، الحسين بن مسعود. *تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل*. تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار. ط٢. بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٧م.

[٢١] الكلبي، محمد بن أحمد بن حجر. *التسهيل لعلوم التنزيل*. بيروت: دار الفكر، د.ت.

[٢٢] السيوطي، عبد الرحمن. *الجامع الصغير*. ط٣. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨١م.

[٢٣] الرازي، محمد. *تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب*. ط٣. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥م.

[٢٤] القنوجي، صديق بن حسن. *فتح البيان في مقاصد القرآن*. تقديم عبدالله الأنصاري. بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٢م.

[٢٥] الألوسي، محمود. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٧م.

[٢٦] ابن جزي، محمد بن أحمد. *تفسير ابن جزي*. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٣م.

Affluent People's Attitude towards the Messengers' Calls

Hussein Jaber Mousa Bani Khaled
Associate Professor College of Sha'ah and Islamic Studies.
Yarmouk University, Irbid, Jordan

Abstract . This research aims at illustrating the concept of affluent people both linguistically and according to the scholars' definition. The research also explores the effects of this group on the members of society and sheds light on the methods affluent people use in standing obstinately in the face of the Prophets who were sent to them. Finally, the research explores the reasons behind their negative attitude and the outcome of their destiny both in this world and in the Hereafter